إدراك "الحياة فى مكونات العمران" بين الحقيقة والمجاز

مقدمة لتولد نطاقات التأثير من حولها

د. على محمد الحسينى
أستاذ مساعد بكلية الهندسة – جامعة المنيا
Alhusseiny14@yahoo.com

الملخص:

يظن الكثير منا أن الحياة تسرى فى الإنسان والحيوان لما يبدر منهما من سلوكيات أو حركة. وربما نضيف النبات لما يشترك معهما فيه من ميلاد ونمو ثم ضعف وموت. أما الجماد فلأنه مادة ساكنة لا يظهر منه فعل أو حركة من تلقاء نفسه نظنه فاقدا للحياة.

تتبنى الورقة بعض من التأمل الفلسفى وجهود المفكرين الذين أثروا التراث الإنسانى فى البحث عن الحقيقة فيما يتعلق بالحياة، واتخذت من ذلك نقطة للانطلاق فى أغوار التفاعل مع العمران. ولا ينحصر هدف البحث فى مخاطبة العقل الواعى لتوسعة آفاق تذوق التصميم المعمارى والعمرانى فحسب، بل يمتد إلى آفاق أرحب لمحاولة فهم التفاعل اللاواعى للإنسان مع ما حوله، فيزيد حسه إرهافا تجاه مكونات العمران سواء كان مصمما له أو مستعملا.

يفترض البحث ان المكونات المادية للأشياء عامة والمعمارية خاصة، تكتسب صفة الحياة حقيقة أو مجازا، عقيدة أو خيالا. وتتراوح قوة إدراك هذا التأثيرعلى ثلاث درجات، الدرجة الأولى أن يستشعر الانسان وجود حياة فى الأشياء على وجه العموم. وفى الدرجة الثانية يتم شخصنة الأشياء بالتخييل أو بتقريب ذهنى للتكوينات لملامح مستمدة من "الأحياء" فينتج عن ذلك سهولة فى التواصل بينها وبين الانسان. وفى الدرجة الثالثة إسقاط العقل البشرى بعض الارتباطات بين ملامح التعبير أو خصائص الانسان المعبرة عن مشاعره ليسقطها على خطوط التكوينات المعمارية ومن ثم يستحضر بعض المشاعر تجاهها.

ويمثل البحث نقطة إرتكاز هامة لفهم التفاعل الإدراكى مع المحيط العمرانى حيث أن تقبل فكرة إسقاط الحياة على المكونات المعمارية والعمرانية يكسبها نكهة عاطفية، ويكسبها بعض مقومات الأحياء عند التواجد فى مجالها، على غرار التفاعل المكانى لتقارب الانسان مع الانسان عبر فراغه الشخصى. ومن ثم يمكن فهم الكثير عن الارتياح النفسى تجاه العمران أو التعبير عن بعض المشاعر المضافة فى التصميم.

الكلمات المفتاحية: شخصنة المادة- ملامح العمران- روح المكان- حياة العمران

1 -المقدمة

قد يتبادر للأذهان أن إحساس المتلقى بتأثير حوائط الفراغ عليه شئ يسهل فهمه. لكن الشعور بحياة الفراغات العمرانية وموتها، أو دفئها وبرودتها شئ يحدث فى أذهاننا كثيرا ونقر به. وبخلفية شرقية تناقش الورقة إدراك الانسان لبيئته المحيطة بطرح سؤال ما إذا كان علينا إدراك الحياة فى التكوين الفراغى على أنه من نتاج خيالنا وان شكل الفراغ وصفاته هى مجرد باعث على تحريك ذلك الخيال، أم أن هذا الادراك هو تفاعل حقيقى بين الانسان والفراغ أقرب فى وصفه بأنه تفاعل بين الاحياء؟

2 -مفهوم الحياة فى العمارة والعمران

لقد احتل إدراك الحياة متمثلا فى الوجود بصفة عامة مرتبة هامة عند الفلاسفة على مر العصور سواء فى الشرق أو فى الغرب. وتبوأت العلاقة بين المادة والمعنى مرتبة خاصة بين موضوعات الادراك. ولم يسلم المهتمون بالعمارة والعمران من رصد أشكال الحياة فى الفراغات العمرانية وكيفية الشعور بها. فقد أصدر راسموسن كتابه "تجربة العمارة" فى عام 1958 عن تفاعل الانسان مع المحيط العمرانى بمعايشة تتسم بحس رفيع (Rasmussen, 1962) . وتوغل فى ضرب الأمثلة من معايشة متعلقاتنا المادية مثل مضرب التنس أو حذاء ركوب الخيل، أو إحساس الأطفال بمدى صلابة وملمس أحجار كنيسة سان مارى ماجيورى فى روما عن طريق مدى ارتداد الكرة حين ترتطم بحوائطها. كما يدركون كيف تكون تجربة دحرجة كرتهم عشرات المرات على درج الكنيسة وعبورها للطريق الملاصق وملاحقتهم لها أثناء مرور السيارات. ومن ثم تختلف معايشتهم للعمران عن سائح جاء عابرا لزيارة الكنيسة وشاهدها كأثر. وأظهرالكاتب بالأمثلة مشاعر دقيقة لمفردات الفراغات العمرانية ليعبر عن معنى تآلف الانسان مع ما حوله . ودعى راسموسن على استحياء المعماريين المحترفين للتعلم من العمران القديم الذى أنشأه مجهولون حين اتسم بتوافقه مع احتياجات الانسان دون تكلف.

وأصدر كرستوفر ألكسندر مؤخرا سلسلة من أربعة مجلدات تحت عنوان رئيسى "نواميس الطبيعة، وظاهرة الحياة" (The Nature of Order, The phenomenon of Life) يبحث فيها ذلك الاحساس الذى يتملك الكثير منا تجاه الحياة فى النظام الكونى بصفة عامة وفى العمران بصفة خاصة. ولعل استغراقه 27 عاما من التفكير والكتابة وإصدارأفكاره فى أربعة كتب إنما يعبر عن صعوبة بحث تلك القضية من ناحية، وصعوبة شرحها للقارئ من ناحية أخرى، إذ أن الاحساس بالحياة فى الأشياء لا يتوافق تماما مع مناهج البحث العلمى الواضحة والمعروفة لإثباتها بالرغم من إحساسنا بوجودها. لذلك احتاج المؤلف إلى تأصيل مفهوم الحياة فى الطبيعة بصفة عامة بعرض الامثلة لإقناع القارئ الغربى بما يشعر به وليستميل قلبه وإحساسه ناحية هدف خاص به وهو التعلم من تكوين الحياة فى الطبيعة. وقد أوضح المؤلف تداخل عناصر الحياة والتى أسماها "بالمراكز" لتتكامل بعضها مع البعض واستدل به على ضرورة تناغم التكوين العمرانى(Alexander, 2004). وظل يبحث الكاتب عن استشعار عنصر الحياة فى العمارة فيلمسه أحيانا فى عمران الأوساط الفقيرة وأحيانا أخرى عند البعد عن الافتعال والحداثة. وتتفق هذه الورقة مع ما رمى إليه الكسندر أن العمارة قد فقدت من عناصر الحياة ما أدى بها إلى ميكانيكية التكوين وسطحية التشكيل وأنها قد سايرت الفكر السائد وآليات العصر التى تفتقر إلى "المشاعر". ولكن من جهة أخرى يختلف البحث مع الكاتب حين أورد خمسة عشرة خاصية لتماسك التكوين عندما حصر معاييرها فى التشكيل باستثناء واحدة منها وهى"البساطة والهدوء الداخلى"، العنصر المعنوى الوحيد .

عموما فإنه من الملاحظ أن راسموسن و كريستوفر ألكسندر يشتركان فى المرور بتخصص الرياضيات والفيزياء مما أهلهما لتناول أنماط العمران فى إطار النظام الكونى، مما يلفت النظر إلى أن قضايا العمران من زوايا تأملية ذات نطاق أوسع من مجرد التشكيل يزيد من فهم جمالياته. وهذا ما شجع كاتب هذه الورقة للاستطراد فى مناقشة فكرة إدراك الحياة فى العمران من منظور نفسى ذو امتداد ثقافى يتسم بالايمان بوجود خالق واحد للكون المتوافق، وأن العمران لا ينفك أن يكون جزءا من هذا التوافق. وقد لبثت العمارة كذلك حتى بحث المعماريون عن افتعال التجديد والابداع التشكيلى. هذا الطرح الجديد يصعد فكرة إدراك الحياة فى العمران بين المجاز واليقين فى تناغم مع الكون كله غير أن الانسان المعاصر بتوجهه المادى يأبى إلا أن يصغى للغة الإفتعال فى العمران كوسيلة للتميز .

3 - فرضية البحث

إن كان هناك اختلاف بين الثقافات حول مدى الايمان بوجود حياة حقيقية فى المادة المكونة للأشياء ومنها الفراغات العمرانية، إلا أن الثقافة الانسانية تشترك فى التعلق العاطفى للانسان مع عناصر المادة إلى درجة الحب أو الكره أو التعود والعشرة، فإنه دون عناء التفسير، ففى النهاية تعتبر هذه العلاقة نوعا من التحاور بين

العقل الانسانى والمادة التى تصبغ فى خياله بصفات الكائن الحى بالتشبيه، حتى وإن لم تتجاوز عملية الإحياء هذه أذهاننا. ولكن أى فارق هائل هذا بين الحالتين، أن تكون العلاقة كلها من صنع أوهام طرف واحد واقع تحت تأثير الغرور بالاستإثار بالحياة (وهو الانسان)، أو تكون العلاقة تحاور بين طرفين من الأحياء (الانسان والأشياء). هذا الفارق هو ما تفترضه هذه الورقة بهدف الانتقال من التعامل مع التكوين العمرانى من مجرد الإدراك الجمالى المتعارف عليه إلى إدراك أكثر سعة ورحابة.

4 - نطاق البحث

يحاول البحث تناول عنصر "الحياة" فى الفراغ العمرانى من عدة وجهات ثقافية، تارة مغلفة برؤية نفسية، وتارة فلسفية، وتارة إيمانية. ويتبنى البحث فكرة بعث الحياة فى الأشياء على ثلاثة محاور يمكن الأخذ بها مفردة أو مجتمعة حيث تعضد بعضها البعض فى درجات من القوة وتؤثر فى إدراكنا للأشياء. **المحور الأول** يدور حول الايمان بوجود حياة فى الجماد ومن ثم استشعار تعلق بينه وبين الانسان فى تفاعل بين الأحياء. **والمحور الثانى** يتعلق بالتخييل العقلى بتلبيس عناصر الجماد ملامح للأحياء ومن ثم استشعار الحياة فيها سواء على وجه الحقيقة أو المجاز. أما **المحور الثالث** فيفترض أن ظهور الانسان فى نطاقات تأثيرالعمران يقوم بتفعيل صفات الحياة التى أكسبها إياها فى عقله ومن ثم خلط مشاعره معها لخلق روح أو انطباع عام للمكان. ونظرا لطول هذا التسلسل يكتفى هذا البحث فى نطاقه بمناقشة المحور الأول والثانى واستتباع مناقشة المحور الثالث فى أبحاث تالية.

5 - منهجية البحث

عندما يخطر ببالنا أن هذا المكان به نوع من الحياة، يختلف كل منا بحسب ثقافته تعريف كيفية وجود الحياة فيه. فمنا من قد يلجأ إلى تفسير تلك الحياة بكثافة تواجد الناس فيه دون تركيز كبير على مكونه المادى، ومنا من قد يفسر الحياة تبعا للنشاط الحركى. ولكن قد يشعر المرء أحيانا بأن بعض الأماكن تكاد تخاطبك وإن كانت خالية من الوجود الانسانى. وفى سبيل التعرف على ما يتم من تخييل عقلى لادراك الحياة فى العمران، فقد انتهج البحث القياس البرهانى القائم على النظر العقلى فى الموجودات والاعتبار والتفكر والرؤية والذى تبناه علم المنطق الذى قال به ابن رشد (Averroes) فى القرن الثانى عشر (lerner,2005)[1] فى مرحلة تكوين الفرضية. فقد تم التعرف على مختلف النظريات الفلسفية فى ما يتعلق بالوجود والحياة ومن المناهج الصوفية فى النظر إلى الحياة فضلا عن علم النفس فى تأملات متوازية لن يجد القارئ فيها نمطا خطيا متسلسلا وإنما يتبع البحث سردا أفقيا عبر علم النفس والفلسفة والعقيدة الايمانية والخلوص من المجموع بنتيجة تعبر عن تعضيد الفرضية تبعا لقناعة الباحث. ثم تنتقل المنهجية إلى اختبار الفرضيات بمنهج الاستبيان من خلال عرض صور فوتوغرافية واختبار الاحساس بالحياة فيها لفئات عمرية تتكون من الشباب وأيضا من الأطفال. ثم يستخلص البحث النتائج من خلال عفوية الإدراك وبساطة التعبير عنه لدى عينة الاستبيان ومناقشته.

6 - خلفية مستمدة من علم النفس

لا شك أن عملية الادراك فى العقل البشرى لها أعماق كبيرة سبق أن تناولها علماء النفس. فقد صك "كلاوس كونراد" فى عام 1958 مصطلح "Apophenia" للتعبير عن رؤية الانماط ذات المعنى من خلال أشكال عشوائية ليست ذات معنى للتدليل على بعض ظواهر الارتباطات المرئية غير المبررة وربطها ببعض الاختلال العقلى المعروف بالذهان. ثم امتد هذا المفهوم ليشمل مجالات عديدة لا تتعلق بالامراض الذهنية وتندرج جميعها فى ميل الانسان لاستنباط الانماط من غير تبرير علمى بعضها فى علم النفس والاديان بل وفى التطبيقات العملية فى مجال الصناعة. وفى عام 2008 صك مايكل شرمر كلمة "التنميط" أو 'patternicity' حول ميل العقل إلى خلق الانماط ذات المعنى من خلال الشوشرة العشوائية ليمتد تأثيرها من

[1] هو محمد بن أحمد بن رشد الاندلسى (520- 595هـ - 1126-1198م) وهو ظاهرة علمية متعددة التخصصات، فهو فقيه مالكى وقاضى القضاة فى زمانه وطبيب وفيلسوف عقلانى وهو شارح ومترجم لاعمال أرسطو المرجعية، ويعتبر تلميذه رغم وجود 16 قرن بينهما وأثر فى الشرق والغرب على حد سواء.

مجرد الاشكال إلى أنماط قوى غير مرئية تمس المفاهيم والعقائد من أرواح وآلهة وقوى خفية تتحلى بقدرة خفية يمكنها إفادتنا أو بيدها التسبب فى الضرر لنا فيما سماه لاحقا 'agenticity' (Shermer,2009). ومن أمثلة ذلك رؤية الوجه فى القمر فيتمثل قوى مؤثرة عند البعض، أو صورة العذراء مريم فى قطعة من الخبز فيما يعد رسالة من السماء، أو تلقى رسائل من الشيطان فى موسيقى الروك [2]. ويؤكد كونراد أن بعض المشاعر غير المبررة علميا تشكل حقيقة وواقع ليس به شك مثل بعض ظواهر تنبؤ الحيوانات بتغيرات الطقس أواهتداء المخلوقات المهاجرة لطريقها واهتداء الوحوش للوصول للغذاء والمياه.

أما فيما يقترب من مجال التشكيل تكلم البعض عن ما يسمى ال" pareidolia"[3] كأحد أفرع ال"apophenia" عندما عرض فرنسوا وجان روبرت العديد من الصور الفوتوغرافية لأشياء تبدو للأذهان على شكل وجوه للدلالة على ميل العقل البشرى لالتقاط ملامح الوجه بسهولة نظرا لتخزين آلاف الملامح فى الذاكرة والقدرة الهائلة للعقل على التمييز فيما بينها [4] (Robert 200). تلك المحاولات لفهم تصور أشكال فى الذهن لا تتعدى التصوير الذهنى وترتيب بعض المفاهيم عليها ولكن مازال الأمر بعيدا عن إدراك حياة حقيقية فى الأشكال.

وفيما يشبه الهندسة العكسية، حاول بعض الباحثين وضع برامج للكومبيوتر باستخدام المرشحات التشكيلية لتجريد صور الوجه فى المشاعر المختلفة وتبسيط نسب عناصره فى كل تعبير ومقارنة ذلك بالواجهات المعمارية بعد تجريد ملامحها. إضافة إلى نسب التشكيل وضع فى الاعتبار التعرف على مكونات الألوان مثل : الأزرق = الحزن، الأحمر= الغضب، الأرجوانى=الاندهاش، الأسود= الخوف إلخ. ومن ثم افترض الباحثون استنتاج المشاعر المستخلصة من تحليل نسب المكونات والألوان فى تعبير الواجهات استنادا على تعبيرات المشاعر الانسانية[5]. ولم تنجح هذه الدراسات بصورة يعتمد عليها حتى الآن فى ميكنة التحليل فى هذا الاتجاه لشدة تعقيد المتغيرات. غير أن فى التطبيقات العلمية على الصناعة نجحت الشركات المنتجة لبعض الكاميرات الرقمية فى تعريف الكاميرا على الوجوه فى تطبيقات ميكنة الضبط البؤرى للعدسة (face detection autofocus)، أو توفير الطاقة فى شاشات الكومبيوتر بزيادة الضوء فى الشاشة عند مواجهة الوجه لها فإذا انحرف الوجه عنها خفت الضوء. فإن كان من معطيات الانسان فى تصنيع الآلة ما يمكنها وهى غير عاقلة من التعرف على ملامح الوجه للتعامل معها فإن العقل البشرى الأكثر تعقيدا يسهل عليه مطابقة الاشكال ومقارنتها بمخزون أشكال الحياة فى ذاكرته والتعاطف معها .

7 .خلفية فلسفية لمفهوم الوجود والحياة

يتبادر للعقل ببساطة أن الحياة تسرى فى الإنسان والحيوان والنبات لما تلاحظ منه ما من مظاهر أهمها الميلاد والنمو ثم الضعف والموت، أما الجماد فلأنه مادة ساكنة لا حركة فيها ولا يظهر منها فعل أو حركة فهى "فاقدة للحياة". ولكن ما هى المادة ؟ وما علاقتها بمظاهر الحياة ليتكون منها الوجود كله؟ هو سؤال خلفه رينيه ديكارت Rene Descartes (1596 -1650) أى فى القرن السابع عشر وظل شاغلا للفلاسفة قرونا طويلة وحتى وقتنا هذا لمعرفة الحقيقة ومدى ارتباط المادة بالعقل والوعى. وبدأت فرضية الجدل عند ديكارت بوجود علاقة ثنائية واضحة بين المادة والعقل. فقد شكك فى وجود أى عالم خارج عقولنا وأن إدراكنا لوضع الكراسى والطاولات والجبال والأنهار والغابات والأشجار التى نراها حولنا ، ولا دليل جازم على وجودها فى الحقيقة، وإن ما ندركه مباشرة، أى ما ندركه من غير عمليات استنتاجية هو محتويات عقولنا. وأن "الأفكار" هى مصدر تجارب شخصية إذ لا يدرك المرء يده بذاتها عند تحريكها، وإنما الأمر قد لا يتجاوز تمثيلا مرئيا لحركة اليد. ولكن السؤال يطرح نفسه: "كيف أعرف أنه فى الحقيقة توجد يد هناك فى الطرف الآخر تسبب هذه الصورة العقلية؟" شاع هذا الرأى فى القرن السابع عشر ويطلق عليه اسم "نظرية الإدراك التمثيلى" (theory of representative perception) والتى تفيد بأننا بدلا من أن ندرك الأشياء الواقعية فإنا ندرك

---

[2] Shermer, Michael: his column in :***'Scientific American'*** , December 2008 column.

[3] أشتق الاسم (pareidolia) من تعبير يونانى ذو شقين(para)أى وراء،و(eidolon)أى شكل أو صورة. ويعبر عن ميل التصور الانسانى لاستخراج الأشكال من التشويش غير المفهوم.

[4] Robert, Francois and Jean: ***'Faces'***. Chronicle Books. San Francisco, 2000.

[5] Stephan K. Chalup and Kenny Hong and Michael J. Ostwald: ***'Simulating Pareidolia of faces for Architectural Image Analysis'***, International Journal of Computer Information systems and Industrial Applications (IJCISIM), ISSN: 2150-7988 Vol.2 (2010), pp.262-278.

محتويات عقولنا فقط. ويترتب على ذلك أسئلة اكثر تركيبا حيث يصعب الإجابة عليها بصورة يقينية من أهمها أنه كيف يمكن التأكد من دون شك من أننا نمتلك معرفة للعالم الخارجى الذى يقع على الجهة الأخرى من تجاربنا الإدراكية؟" بل" كيف تجزم على الإطلاق بأن من حولك لهم إدراك مماثل لإدراكك خاصة وأن حركتهم وآلامهم وسعادتهم وغيرها من المشاعر هى تجارب لا تحدث فى عقلك أنت وإنما قمت باستنتاجها أنت بالقياس على نفسك، أيضا داخل عقلك؟" وهذا السؤال قد يؤدى إلى افتراض طريف بأنى انا الشخص الموجود وأمتلك حالة عقلية تدعى "الأنانة" solipsism أو أن الأخرين ربما يمتلكون حالات عقلية ولكننى لا أعرف هذه الحقيقة بالتأكيد فيما يسمى الأنانة الإبيستمولوجية epistemic . أو أن الناس الآخرون يمتلكون حالات عقلية، ولكن ليس فى مقدورى أبدا التأكد من أن حالتهم العقلية شبيهة بحالاتى العقلية. وفق معرفتى، عندما أسمى تجربة أقوم بها "أرى لونا أحمر" بإمكانك انت أن تقوم بالتجربة ذاتها وتسميها" أرى لونا أخضر"، وإذا كان بإمكانى أن أقوم بتجربتك التى أنت تسميها "أرى لونا أخضر" فإنه بإمكانى أن أسميها "أرى لونا أحمر". فإننا قد نتفق على تسمية الشئ الأخضر أخضرا دون التأكد من أن إدراكنا متطابقا فى الحقيقة. ويقول جون سيرل أن ظاهرة الأنانة غريبة فى تاريخ الفلاسفة، لأنه لا يوجد فلاسفة مشهورون يعتنقون هذا المذهب على الإطلاق. طبعا إذا كان أى فيلسوف أنانيا فإنه ليس من المفيد له أن يخبرنا أنه أنانى، إذ وفق نظريته، نحن لا نوجد إلا فى ذهنه (Searle, 2004).

قضية أخرى أثارها ديكارت لها من الاهمية أن تذكر فى هذا البحث وهى انه بالنسبة له فإن كل نشاط عقلى هو بالتعريف نشاط واع. وبالنسبة إليه، الكلام عن حالة عقلية لا واعية يشتمل على تناقض ذاتى، على وعى لا واعى. حاول عالم النفس فرويد أن يعالج تلك القضية، وتأكد لدى علم النفس أن الناس يقومون بأفعال من دوافع لا ندركها وأنهم ينكرون بصدق وجود هذه الدوافع. ووفقا لهذه النظرية نظن أن الناس يدركون أشكال الأشياء باستنتاج لا واع للصفات الحقيقية للشئ من الصفات المحددة للمنبه stimulus .

الأمر الذى نهتم به لاحقا بأن إكساب الحياة والصفات الانسانية للفراغات إنما تتم فى العقل اللاواعى للإنسان بطريقة تلقائية.

فى هذا الموضع من البحث وفى معترك الفكر الفلسفى ينبغى أن نذكر آراء الفيلسوف جوتفريد فلهلم ليبنتس[6] الذى ينطوى فكره فى كتابه "الذرات الروحية" على كلمة "المونـاد" وهى تعنى باليونانية فى الأصل "الوحدة الحسابية"، ولكنها تحولت إلى معنى الوحدة المادية، أو الجزء الذى لا يتجزأ. على أن ليبنتس يضيف إليها معنى جديدا: فهى عنده وحدة حية، أى أنها فردية الكائن الح ى فى أدق وأبسط مظاهرها، وهى جزء حى واع موجود وجودا فعليا وليس مجرد وحدة فكرة كالوحدة الحسابية فى سائر أجزاء الطبيعة ويشكل مكوناتها المادية. بذلك أكد ليبنتس أن حياة نفسية تسرى فى جميع نظام الطبيعة ، وإن كانت تتخذ صورا غامضة فى الكائنات الدنيا، ولا ترقى إلى مرتبة الوعى الكامل إلا فى الدرجات العليا فى الحياة، وهكذا يميز بين ذرات روحية تكتفى بالإدراك وحده perception، وأخرى يتوافر لديها الإدراك الذاتى أو الوعى apperception، الأولى يسميها بالذرات الروحية المحض، أو الكمالات entelechies والثانية هى النفوس البشرية، التى تتميز عن الأولى بازدياد تميز إدراكها، وبوجود ملكة الذاكرة والوعى لديها، وبمزيد من الإرهاف فى حواسها. بذلك يتبنى ليبنتس أن الحياة تسرى فى كل ذرة فى الكون فى انسجام مترابط وليس المادة التى تتألف منها الأجسام البشرية وحدها. فمعقولية الطبيعة واتساقها مع نفسها تتفق مع الروح العلمية الصحيحة. وأكد تطور علم الاحياء فى عصر ليبنتس فكرة انتشار الحياة فى الكون بأسره حيث أتاح المجهر لبعض العلماء، وعلى رأسهم ليفنهوك Leuwenhoek أن يكتشفوا كائنات عضوية دقيقة لا تراها العين المجردة فى الأجسام المادية التى تبدو جامدة لا حياة فيها (زكريا، 1995). ووجد ليبنتس فى ذلك تأكيدا تجريبيا لرأيه القائل إن المادة التى تبدو غير حية تنطوى على عالم كامل من الكائنات العضوية العاقلة المشابهة فى بيئتها لنا.

[6] Gottfried Wilhelm Leibniz الذى ولد فى سنة 1646 أى قبل موت ديكارت مباشرة. جمع ليبنتس المفكر الأسطورى معرفة موسوعية فى عصره حيث اشتغل بالفلسفة والأدب والعلم والقانون والسياسة معا وكانت له فيها كلها تقريبا مساهماته المبتكرة وكشوفه البارعة التى تنافس فى كل منها أقطاب عصره فى تلك المجالات. ومن أهم مؤلفات ليبنتس فى الفلسفة كتابه "مذهب الذرات الروحية"Monadology" وهو كتاب ضئيل الحجم كان فى أصله رسالة لاحد المراسلين الفرنسيين

ومن نتائج فكر ليبنتس فى مفهوم تكوين الأجسام من نفوس حية أن هناك نوع من "الانسجام المقدر" harmonie préétablie بين الكائنات كلها فى الكون، ومصدر هذا الانسجام هو الإرادة الإلهية، التى شاءت أن تتفق إدراكات النفس الواحدة مع إدراكات كل نفس أخرى. وهذا المفهوم الذى يقرب بين الفلسفة والدين هو من نتاج تأثير أفكار ابن رشد الذى تحول فكره الى تيار عريض يدعى التيار الرشدي او في اللغات الاجنبية Averroisme، التى من بينها علاج الصدام بين الفلاسفة الغرب والدين بعد ميل الفلاسفة الى الالحاد لما رأوه من كوارث القتل والتدمير بين البروتستانتيين والكاثوليك . فكان لليبنتس من أثر ذلك فى أفكاره التى زاعت وامتدت حتى القرن السابع عشر أنه لا مانع من إسناد الحقيقة التى يعجز عنها العقل إلى الإرادة الإلهية (فتح الدين 2007).

ويقول ليبنتس فى كتابه: "لقد أتاحت لى هذه المبادئ أن أهتدى إلى تفسير طبيعى للاتحاد أو الاتفاق بين النفس والجسم العضوى. فالنفس تتبع قوانينها الخاصة، والجسم العضوى كذلك يتبع قوانينه الخاصة، وهما يلتقيان بفضل الانسجام المقدر بين جميع الجواهر، ما دامت الجواهر كلها تمثل كونا واحدا. فالنفوس تسلك، وفقا لقوانين العلل الغائية، طريق النز وع أو الرغبة appetition والغايات والوسائل. أما الأجسام فتسلك وفقا لقوانين العلل الفاعلة أو الحركات. والعالمان: عالم العلل الفاعلة وعالم العلل الغائية، منسجمان فيما بينهما"(Leibniz, 1714). وهكذا ينتقد ليبنتس نظرية ديكارت، التى تقول بتأثير الجسم والنفس كل منهما فى الآخر، على أساس استحالة هذا التأثير بين جوهرين أحدهما مادى والآخر لا مادى.

8 -خلفية إيمانية لإدراك الحياة فى كل شئ

إن كان العلميون فى حيرة من أمرهم لحصرهم إثبات أمور محسوسة بطرق مادية، فإن الفلاسفة يحومون بحرية أكبر فى إعمال الخيال والتأمل فى إيجاد حلول تفسر مدركاتنا. أما المؤمنون فإنهم يستمدون إيمانهم يقينا من مصدر إخبارهم فى كتاب الله. فالقرآن أقر بوجود مشاعر لكل شئ من خلال العديد من المواقف منها أن الارض والسماء تبكيان " فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ (الدخان (29))، أوإشفاق الأرض والسماوات من حمل الأمانة التى حملها الانسان "إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا" (الأحزاب (72))، أو خشوع وتصدع الجبال من خشية الله " لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ " (الحشر(21)) ، وغير ذلك من إستعارة المشاعر الانسانية لتسكن الجماد، كل ذلك يهئ المتلقى المؤمن لإدراك أكثر تصديقا من غيره بالإحساس بتأثير ما حوله فيه والتفاعل معه على المستوى النفسى، وإن كان الواقع متفاوتا فى اليقين بهذه الحقيقة أو منسيا إلا أنها مستقرة فى العقل الباطن وتؤثر فى مشاعره.

من أهم ما يدل على وجود الحياة فى الأشياء عامة الآية الكريمة "تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" (الإسراء(44)، ومن ثم نفرق بين درجة الحياة المتمثلة فى الوعى والإرادة وبين درجة التعبير عن الحياة والمتمثلة فى مظاهر الحياة والقدرة على التغيير فى الأشياء. فإن كان كل شئ حى عاقل يتمتع بالمقصد والإرادة، إلا أن مظاهر التعبير عن حياته وقدرته على التصريف تتفاوت فى قوتها بالتدريج من الإنسان إلى الحيوان إلى النبات ثم الجماد. إن كان كل شئ يتسم بالحياة، فهل الفراغ العمرانى شئ أم أن كل من عناصره أومكوناته أشياء منفصلة؟ أو بكلمات أخرى ما هى الحدود المادية ليكون الفراغ العمرانى شئ حى؟

عادة ما يكون الإدراك فى الفكر المادى هو تفسير عقلى ناتج عن معطيات حواس الانسان لما هو موجود من حوله. وإن كان إدراك الشئ متمثلا فى تحليل مدخلات الحواس لهذا الشئ فى العقل، فإن الادراك فى العقيدة هو "حصول الشئ فى الذهن". واستنادا إلى الآية الكريمة: "إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون" أن الشئ عند الأشاعرة يطلق على الموجود سواء كان واجبا أو كان ممكنا، ويطلق عند المعتزلة على الممكن سواء كان موجودا أو معدوما، ويطلق عند سيبوية فى اللغة على الثلاثة (الواجب والممكن والمستحيل).أما فى هذا البحث فإن الشئ المكون من مجموعة أشياء هو شئ مسبح له كينونة فى ذاته. فإذا ما تفكك إلى أجزاء كان كل جزء منه شئ مسبح فى ذاته. أى أن كل موجود هو شئ ما دام له مسمى، فهو ذات،

وهو حى فى ذاته. فالفراغ العمرانى المكون من حوائط وأرض هو شئ له كيان محدد فى ذاته، كالطير المكون من رأس وأجنحة وذيل فهو مسبح بإجمال كونه طيرا، وكذلك الإنسان والمخلوقات جميعها، فإذا ما انفصلت الأجزاء انتهى كيان المجملات ولكن الأجزاء تظل أشياء فى ذاتها لها حياتها الخاصة فى كل منها .

9 - إعارة مفردات الفراغ بعض تعبيرات الإنسان

شكل رقم 1 : بعض الكتل النحتية نتيجة عوامل التعرية فى الصحراء البيضاء بالصحراء الغربية بمصر.
توحى التكوينات على اختلاف أشكالها بالعديد من المخلوقات بحسب مخيلة كل شخص. وأحيانا تجتمع المنحوتات فى تشكيل يوحى بتحاور تلك الموجودات فيما بينها، مما يشعر الزائر بأنه ضيف على مجموعة من الأحياء من سكان الصحراء التى تؤنس وحدته. وتتشكل شخصنة المنحوتات فى أذهاننا فى إطار مرجعية الأنماط الحياتية للإنسان

مما سبق يتبين لنا أن العقل البشرى بمنطقه وخياله وإيمانه لا ينفك أن يدرك الحياة فيما حوله من أشياء. تارة يثبتها بالحجة فى فطرته وإحساسه وتارة يتراجع بعقلانيته المادية، ولكنه لا يزال يبنى على تلك الفرضية الكثير من التبعات فى نفسه. من تلك التبعات أنه يسبغ على الأشياء المشاعر كجزء هام من مقومات الحياة فى سائرالمخلوقات.

ونظرا للتناغم الواضح والصفات المشتركة بين الأحياء فى هذا الكون ، يسقط الإنسان خبراته الحياتية عند رؤيته لتراكيب مكونات الحياة، وارتبطت مظاهر مشاعر الإنسان بمشاعر المخلوقات من حوله وتقاطعت فى التعبير عنها بخصائص أخلاقية وصفات شخصية. وقد عرف علم "الفراسة" بالربط بين خصائص الأحياء فى تكوينها الجسدى والملامحى لشدة وضوح تلك العلاقة. فقد اشتهر العرب وبرعوا فى هذا المجال واختصت به عائلات من القبائل بعينها، وتطرق إلى العديد من الفروع، منها النورانى والذى اشتهر به الصحابة مثل أبو بكر الصديق الذى يعد أصدق المتفرسين فى الأمة، ومنها الفراسة الحكمية والتى يمكن أن تكتسب مع الممارسة مثل علم الانساب والفراسة "الخلقية" وفيها استدل المتفرسون بالخلق بفتح الخاء على الخلق بضم الخاء واللام (الرازى، 544هـ)، فهو علم يقوم على الخبرة والتلقى يختلف عن العلوم الحديثة التى تعتمد على المنهجيات الحديثة. وقد تناول العديد من الكتاب الغربيين هذا العلم ودرس فى الجامعات الأوروبية فى القرن الخامس عشر حتى منع من تدريسه فى عام فى عام 1531 فى عهد الملك هنرى الثامن فى انجلترا (Lang, 1987)[7]. فمثلا انحناء غصن الورد عند ذبوله يزيد من تأثيره العاطفى عند رؤية الانسان له وقراءته، ذلك لاشتراك الكائنات فى فكرة الضعف وانحناء العود قبل الموت والفناء خاصة وأن الفكرة تمس الانسان نفسه بالدرجة

[7] Lang, Jon (1987): ***'Creating Architectural Theory, The Role of the Behavioral Sciences in Environmental Design'*** – Van Nostrand Reinhold Company, New York- p.200.

الأولى فيستطيع أن يتفهم الموقف ويتعاطف معه. ويتبادر إلى الأذهان صور تشبيهية لانهائية لإشتراك مفردات التشكيل فى الطبيعة مع التعبير العاطفى للأداء الحركى للأحياء عامة ولجسم الإنسان خاصة،ففى الطبيعة نجد شموخ النخلة وتواضع الأغصان المتدلية أو غروب الشمس مع الرحيل أو ارتباط البدر فى استضاءته بالوجه المنير وغيرها الكثير من محاكاة الأنماط المادية للتعبيرات الانسانية ووجود أوجه شبه فيما بينها.

وفى مجال الصناعة استغل المصممون تلك الأفكار فى محاكاة الملامح فى إعطاء المنتج معنى مميزا، فنجد كثيرا من تصميمات السيارات منها ما يضحك أو منها المتجهم أو الشرس.
وكثير من المجالات التى تتعلق بالأشكال مثل الفنون قد تطرقت بوعى أو من غير وعى إلى استغلال أوجه الشبه بين المادة والكائنات الحية، حتى فى دراسة علم الحروف فسر المدققون أشكال الحروف العربية، فمثلا الألف وهى رئيسة الحروف والتى يبدأ بها لفظ الجلالة اتخذت شكل المستقيم الرأسى لما لها من شرف فى تشبيه لقامة الإنسان المعتز بنفسه فى وضعه الطبيعى والذى شرفه الخالق بأن يكون سيد الكائنات. بل إن فى التأملات الصوفية أن الإنسان نفسه عالم مصغر يحاكى النظام الكونى المكبر. فإنه بالتدقيق فى مكوناته حتى مقياس الذرة يجد الإنسان تشابها فى مكوناتها والحركة فيها مع الافلاك فى الفضاء.

من خلال تقاطع نظم الحياة بين الإنسان والكائنات من حوله ينتج اشتراكا وجدانيا بين كل المخلوقات فى تناغم رائع. فإن عملية المحاكاة بين الانسان فى عالمه والكائنات من حوله تولد نوعا من التقارب فيتعاطف الانسان تلقائيا مع كافة الأشياء من حوله. فمثلا عند الحيوان فى عالمه فيما يشترك مع البشر فى حالات الأمومة والشفقة على المولود اسقاطا على التجربة الانسانية . فالتعاطف مع الأ طفال يولد تعاطفا مع الحيوان وتفهما لشعوره فى علاقته بصغاره . وكذلك يكتسب صغير أى من الكائنات حبهمن الجميع باتصافه بالبراءة حتى وإن كان من فصيلة مفترسة أو خطيرة. وقد أراد الله أن يكون هذا التبادل العاطفى بين العوالم غاية فى التقدير فجعل بعضها واضحا جليا وبعضها الآخر خفيا لتستقيم أمور الحياة. فمثلا التعبيرات التعاطفية على وجه الحيوانات لا تقارن بدرجة وحساسية تعبيرات الانسان بتحريكه مئات العضلات فى الوجه لإظهار أحاسيسه اللانهائية حتى يكون تعاطفا محدودا لا يتجاوز الإخلال بمبدأ تسخيرها للإنسان، وإلا لما حمل عليها الأثقال أو ذبحها إن أظهرت تعبيرها بنفس قدر إظهارالانسان لإحساسه. وكذا تمتد علاقة الإنسان العاطفية لتشمل سائر الطيور والنباتات بل والجمادات فى تدرج إدراك نا لأشكال الحياة فيها ، بقدر يمكن نا من استعمال كل منها فى شئونا.

وتشكل المفردات المعمارية والتى تقع فى نطاق الجماد فى الغالب الاكثر صعوبة والأشد غموضا أثناء إسقاط الحياة عليها. ولتفهم ذلك النوع من الحياة فى الأشياء تداعب مفردات التكوين العمرانى القدرة التخييلية للانسان لتوحى بالتعبير عن معانى خاصة بما يحدث من أحوال انسانية، ثم يتعاطف معها بعد إسقاط تلك العلاقة على تجاربنا الإنسانية ومع ما نعرفه فى عالمنا فتضفى عليها الحياة فى نظرنا. فالحائط المفرد فى أبسط صوره له "وجه" و"ظهر" أو "أمام" و"خلف" بحسب تشكيله الذى ربما يكون ناتجا عن محاكاته لجسم الانسان أو التشبيه الإيحائى للحركات الانسانية المخزونة من واقع خبراته التجريبية والسلوكية (شكل رقم 2)

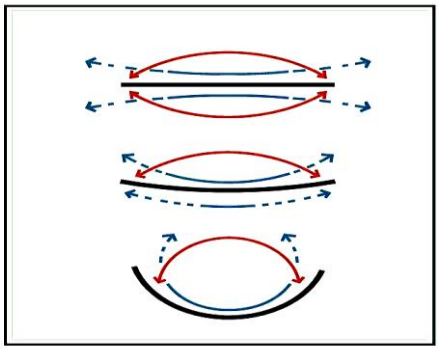

شكل رقم 2 : وجود وجه وظهر للحوائط ففى الأعلى حائط مفرد ليس له وجه أو ظهر لضعف وتساوى نطاق التأثير فى الجهتين، ويزداد نطاق التأثير أمام الحائط جهة التقعير كلما زاد الانحناء

فإن الشكل المبين يوضح إحساس الإنسان تجاه حائط يتراوح ما بين الخط المستقيم والانحناء بدرجات متفاوتة فى إحساس المتلقى لشكله بتحديد الوجه جهة التقعير والظهر جهة التحديب باعتبار درجة الاحتواء. فالسهم الأزرق فى الشكل يصف درجة هيمنة الحائط على الفراغ المقابل والسهم الأحمر يعبر عن إحساس الإنسان المواجه لذلك الحائط وانتماءه إلى منطقة التأثير الخاصة به. قد يكون هذا الاحساس ناتج عن محاكاة لطبيعة حركة جسم الانسان حيث تتحرك الزراعين جهة الأمام فقط للحصول على الاحتواء. وبالتالى يسيطر جسمه على ما هو أمامه يمثل الوجه، وعدم احتواءه فى الجهة العكسية تمثل الظهر أو الخلف.
ولذا فإن إدراكنا للفراغ المتكون من انحناء المسقط الأفقى للحائط يشكل إسقاطا لاحساسه تجاه جسمه نفسه. ففى هذه الحالة ندرك التأثير المادى لتلك الأجسام على الفراغات الملاصقة لها من واقع التكوين النفسى الناتج عن خبرات وتجارب جسم الانسان والمعانى الناتجة عن السلوك الحركى.

10 إختبار الفرضية

تم تصميم الاختبار فى نطاق محورى الفرضية. المحور الأول يتعلق باستعداد الإنسان ومدى تقبله لوجود حياة فى غير الانسان بصفة عامة. والمحور الثانى يتعلق بمدى وجود تعبير للأشياء بتمثلها فى تكوينها بملامح للأحياء.

على مستوى المحور الأول إعتمد البحث على سؤال سبعة عشرة من الطلاب إن كان قد مر أحدهم بموقف واحد على الأقل خاطب فيه شيئا غير إنسان على أنه يسمعه أو يفهمه. أجاب بالايجاب 85% من العينة بأن ذلك قد يحدث بين حين وآخر إلا ان عدد 50% فقط يستشعر بأن الأشياء من الجماد تتلقى كلماته بمأخذ الجد أو يكون بوسع الجمادات أن تتلقى كلماته أو تصلها على وجه حقيقى. ومن الطريف أن فى مقابلة مع أربعة من الأطفال فى عمر ثمانى سنوات أقروا بأنهم يمارسون الكلام مع لعبهم بصفة مستمرة، ولكنهم يدركون أن استشعار الحياة فيها هى فقط من صنع خيالهم إلا أنهم يستمتعون بذلك كثيرا. وهذه النتيجة تبين أنه على غير المتوقع أن الاطفال أقل تصديقا لخيالاتهم على وجه اليقين من الكبار الذين قد يعضد رأيهم الايمانيات المكتسبة خلال التقدم فى العمر بأن للجماد حياة.

أما بالنسبة للحيوان والنبات فإن العينة بالكامل تقر بأن الحيوان له مشاعر وحياة تضاهى حياة الانسان إلا أن البعض يعتقد بأن لديه أحاسيس تقل بعض الشئ عن الانسان. ولكن بالنسبة للنبات يعتقد 70% بأن النبات لديه إحساس بمن يهتم به ويرويه ويتكلم معه، ويظهر ذلك من خلال مدى رونق النبات ونموه من عدمه.

أما على مستوى المحور الثانى تم عرض بعض الجمادات التى تحاكى ملامح الانسان فى تدرج يبدأ من الوضوح القوى مرورا بمستوى متوسط من الوضوح بعرض واجهات للمبانى تتسم الملامح فيها بمحاكاة نسبها وفتحات النوافذ والأبواب لنسب الوجه عند التعبير عن مشاعر معنية، ثم تنتهى بعرض واجهات أو الأماكن التى يصعب معها تحديد ملامح بهاا ولكن يتوجه الاختبار بدراسة المشاعر المرتبطة بها. وفى سبيل ذلك تم عرض أربعة وثلاثون موضوعا.

ففى عرض مجموعة من صور السيارات التى تم صنعها بملامح مستمدة من تعبيرات الوجه إما ضاحكة أو متجهمة وبجانبها صور لوجوه أطفال تعبر عن الضحك أو البكاء. وطلب من العينة ربط السيارة بوجه الطفل المناسب فكان هناك مقاربة للإجماع واضح بأن هناك من السيارات ما يضحك ومنها ما يعبس. ومن الموضوعات التى تلقتها العينة بنسب عالية فى الاتفاق السيارتين المبينتين فى شكل رقم 3 والشكل رقم 4.

شكل رقم 3: أجمع نسبة 93% من العينة بأن تلك السيارة تقترب من ملامح العبس للوجه رقم 1

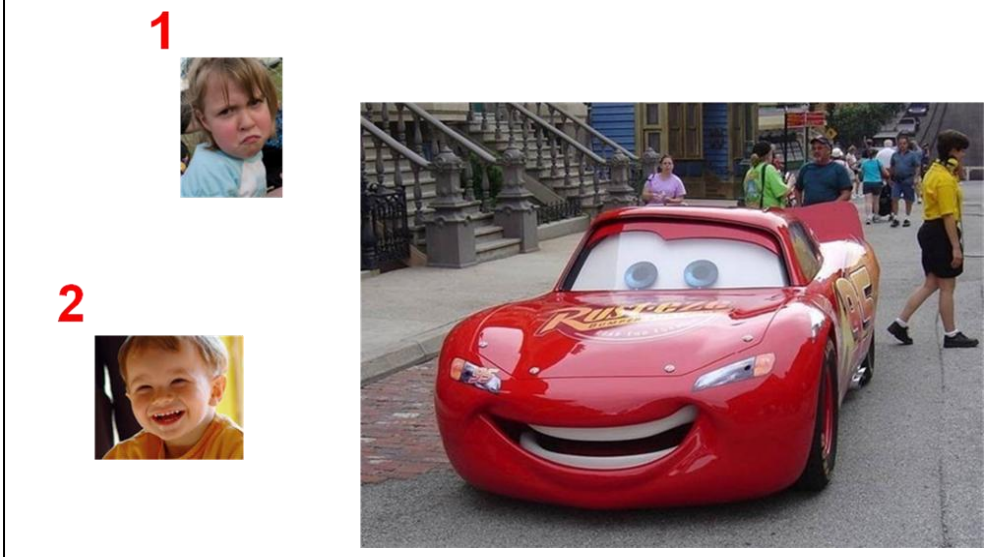

شكل رقم 4: أجمع نسبة 98% من العينة أن تلك السيارة لها نفس ملامح الضحك للوجه رقم 2

وفى مجال التطبيق المعمارى لمحاكاة المشاعر الانسانية فى تصميم الواجهات لبعض المبانى، فقد تم عرض موضوعات يسهل تقريبها إلى الملامح الانسانية وأخرى يصعب ربطها مباشرة بها. فمن المبانى التى يسهل ربطها بعض المبانى السكنية منخفضة الارتفاع مثالها المبين فى شكل رقم 5، والتى كان من السهل التعرف على شعور مستوحى من مشاعر الانسان. (شكل رقم 5)

ولكنا ننوه إلى احتمال الربط بين ملامح الشكلين بما لا يدل على وجه اليقين بأن المبنى يدب فيه الحياة بسبب ارتباطه بالتعبير عن المشاعر وإنما هو تمثيل واضح من صنع الانسان لا يمت مباشرة بإدراك حياة حقيقية للمبنى.

شكل رقم 5: يوضح التشابه فى الملامح بين الواجهة فى المبنى والتعبير الانسانى للدهشة أو الخوف

وعند عرض صور لمبانى ليس لها دلالة مباشرة لملامح الانسان ظلت العينة فى طريقها للربط بين تلك الموضوعات وملامح الانسان. فمثلا كان هناك ارتباط واضح بين العمارة ذات التفاصيل الكثيرة سواء فى واجهاتها أو موضوعات التصميم الداخلى الغنى وبين ملامح التقسيم العضلى للاعب كمال الأجسام والموضح فى شكل رقم 6. ولعل السبب هو الغنى فى التفاصيل فى الموضوعات المعمارية كما فى بروز العضلات من الناحية البصرية أو التشكيلية، أو المجهود المبذول فى تحقيق النتيجة النهائية وصعوبة التنفيذ فى العمارة واجتهاد تقسيم العضلات فى حالة الانسان من ناحية أخرى.

وكذلك فى عرض الموضوع المعمارى المبين فى الشكل رقم 7 تم ربط الموضوع المعمارى بتعبيرات الوجوه الثلاثة المرفقة به فى الشكل على نحو بلغ نسب متقاربة، حيث اجتمعت الآراء على إيحاء المبنى بالحزن أو الوحدة. وفى موضوعات مشابهة أيضا يغلب عليها الكآبة والحزن والقدم نرى ارتباط الوجوه الثلاثة بها أيضا. ولعل الرابط لم يكن تشكيليا على الاطلاق ولكن بإسقاط أحداث قصة ما فى مخيلتنا ربما تتسم بهجر السكان للمبنى وربما موتهم ومن ثم تهدم بعض من حوائطه كما يخيم الموت من حوله على نحو يوحى بتعبيرات الوجوه الثلاثة المرتبطة به. وعلى عكس ذلك الاحساس نجد ارتباط الاسترخاء والراحة مرتبطة بفيلا من تصميم فرانك لويد رايت المبينة فى شكل رقم 8. ولعل الارتباط بين تصميم الفيللا هو أيضا كما فى موضوع الشكل رقم 7 هو الاحساس بالسكنى فى هذا المنزل وما يستتبع التواجد فيه من استرخاء وراحة. وقد يكون من هذا الموضوع وموضوعات مشابهة توحى الخطوط المنبسطة أفقيا توليد حالة من الراحة تشابه امتداد التكوين الأفقى للرجل النائم على الاريكة. ومن هنا يمكن أن تتكون علاقة قوية بين التكوينات الافقية وحالة الهدؤ النفسى والاسترخاء.

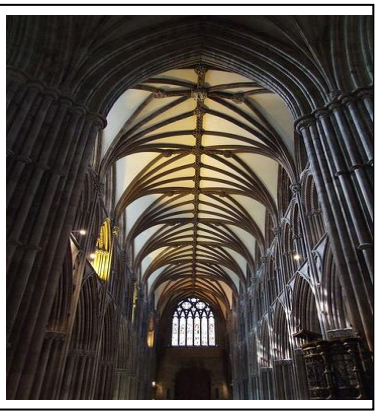

شكل رقم 6: ربط معظم أفراد العينة بين والتصميم الداخلى لقصر اللوفر ومفردات العمارة الغوطية بملامح التقسيم العضلى الموضح فى الصورة.

شكل رقم 7: يبين ارتباط غير مباشر بالملامح المناسبة للتعبير عن الشعور بغض النظر عن التشابه الملامحى

شكل رقم 8: إحتمع أكثر من 70% من العينة على ارتباط هذه الفيللا بالانسان المستمتع بالنوم على الأريكة

11 - **الخلاصة**:

يخلص البحث إلى أن العقل البشرى يدرك الحياة فى الأشياء من حولنا بصور متعددة. فكأنما استشعار الحياة فى الكائنات كلها يضفى عاطفة خفية فى التعامل مع ما حولنا. ويتم التفاعل بين الانسان والتشكيلات المادية فى العقل اللاواعى نتيجة الخلفية النفسية للثقافة الانسانية للتخييل الذهنى فى شخصنة التشكيلات المادية وإسقاط صفات الحياة عليها فى وجه العموم. وقد يعضض ذلك الاحساس اللاواعى عند أصحاب الإيمان بالتوحيد عامة وبعض الثقافات الشرقية خلفية عقائدية ترى الحياة تسرى فى جميع الموجودات بما فيها الجماد. واستشعار الحياة هو أمر واقع سواء بالتخييل أو يقينا بالايمان. فالعقل لا يكف أن يحوم ويربط بين خطوط التشكيل فى المادة على هيئات تتشابه مع الحركات الانسانية المعبرة عن المشاعر وإن كانت محورة بدرجة كبيرة. ففى واقع عالمنا تدرب العقل على تحور تكوين الحيوانات بمختلف أنواعها فى الشكل والإبقاء على العناصر المشتركة مثل الأرجل أو الرأس مثلا مع اختلاف أشكالها ولكنها تبقى عاملا مشتركا. ذلك التدريب العقلى جعل المبالغة والتحوير فى الشخصيات الكرتونية والقادمين من الفضاء مازال متقبلا. فكلما اقترب التشكيل من التصريح بملامح الاحياء كلما سهل قراءة الحياة فيها. ولكن أيضا لا يكف العقل أن يربط بين التشكيل وإن كان مستترا وراء خطوط عامة وبين مشاعر إنسانية مهما بلغت من غموض. وليس بالضرورة أن يكون الانسان واعيا لإدراك الحياة فى الأشياء على وجه صريح، وإنما نسقط الحياة فى أعماق مخيلتنا ونتعاطف معها على وجه خفى.

ومن الأمانة أن نشير إلى تأثير الإيحاءات المحيطة بموضوع التكوينات المعمارية التى تم اختبارها. فقد تم تدعيم المحيط العام بالموضوع المعمارى أحيانا بتجريد الأشجار من الأوراق إيحاءا بالوحدة أو الموت، أوباختياره ملونا بدلا من الأبيض والأسود ليتناسب مع الابتسام والبهجة عند اختيار الصورة المعروضة مثلما فى الشكل رقم 7. فإنه من الصعب فصل العمل عن ما حوله عند إدراكه. وكذلك المنزل القديم المهجور فى جو ملبد بالغيوم هو الأنسب للوجه الحزين أو الخائف من شئ ما. فالعقل قادر على اختلاق دراما ما تعبر عن ثمة تفاعل ما بين الانسان والمكان حين يتم إسقاط النفس داخل العمل الفنى ونتعايش معه فشعر به ونقدره. وفى ذلك الإدراك تشابه بما قال به الباحثون فى نظرية "الجشطلت" أمثال كوفكا وإرنهايم فى تحليل الموضوعات الفنية عندما تكشف الموضوعات غير الانسانية عن خصائص تعبيرية مماثلة أو تبدو لنا ذات خصائص إنسانية (شاكر عبد الحميد 2001).

جدير بالذكر أنه عادة ما تلاحظ الخلط فى ذهن العينة بين سؤالين متقاربين ، الأول :" ما شعور هذا البيت؟" والثانى: ما الشعور الأنسب لهذا البيت؟" فالسؤال الأول يفترض أن البيت سعيدا مثلا والثانى أن من يسكن هذا البيت هو من يكون سعيدا . هذا الأمر كان من الوضوح عند إجابة الأشخاص على اختيار التعبير المناسب للموضوعات المعمارية . هذا الانعكاس بين أحاسيس الموضوع العمرانى والمتلقى يخلط المشاعر المنسوبة للأحياء فيما بين الانسان وما حوله كما هو الحال فى خيال التجريدات الانفعالية (emotional abstracts imagination).[8] فنجد الفيلات الهادئة ذات الطبيعة الجميلة المحيطة بها هى الأنسب فى الربط بينها وبين الإنسان المضطجع أو ذو الابتسامة الهادئة. ففى هذه الحالة ينحاز العقل للوصول لانطباع حى عن المكان يرغب فى تفسيره على نحو غامض ما إذا كان موجودا فى نطاق تأثيره. فلكى نصف المنزل بملامح وجه مبتسم دون وضوح علاقة تشابه ملامحية نجد أن مجرد تأكيد التكوين الأفقى كاف جدا لاستحضار الامتداد الأفقى للابتسامة، تماما كما ينتابنا الهدوء عند رؤية خط الافق فى النظر إلى البحر. أى أن عملية استحضار الحياة فى التكوينات المعمارية والعمرانية غالبا ما تحدث تلقائيا حتى بالقليل من إدراك الملامح التعبيرية عن مشاعر مشابهة للأحياء فينتج نوعا من التعاطف وتبادل الأحاسيس إما بمجرد الإيحاء أو مدعوما بالإيمان بوجود الحياة فى كل شئ ولكن بصورة يقين منسى.

وإذا ما تيقننا من أن فى المحصلة يكتسب المكون العمرانى والمعمارى صورة ذهنية للأحياء فى أعماق إدراكنا اللاواعى بطريقة تشكيلية بحتة، فإن من تبعات ذلك تلبيس تلك المكونات الملامح العبيرية لمشاعر الاحياء التى تفتح بابا أوسع من مجرد إدراك بعث الحياة ولكن بإلباسها عاطفة وإحساسا يداعب مشاعر الانسان. فإن كان تصميم الفراغات العمرانية والمعمارية هو وظيفيا وجماليا غاية المصمم من طرف واحد حى وهو الانسان، فإن البحث يدعو إلى إعادة صياغة التصميم على أساس التفاعل بين طرفين أحياء وهما الانسان والبئية العمرانية. عندئذ يمكننا أن نرى منزلا متواضعا، أو فراغ مرحب، أو حتى مجرد حائط حنون.

المراجع:

1. القرآن الكريم
2. الشافعى، على جمعة محمد (2006)،**" محاضرات فى الفقه الصوفى للأحكام الشرعية ، تأصيل علمى روحى لمنهج أهل السنة والجماعة"** – المعهد العالى للدراسات الإسلامية والعربية والصوفية، اكاديمية العشيرة المحمدية.
3. الرازى، محمد فخر الدين (544-606 هـ)، **"الفراسة ، دليلك إلى معرفة أخلاق الناس وطبائعهم وكأنهم كتاب مفتوح"** – مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة.
4. زكريا، فؤاد (1995)، **"مذهب الذرات الروحية"** للبينتس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،
5. فتح الدين، عبداللطيف (2007)، **"الفلسفة الإسلامية ومدى أثرها فى الفكر الإنسانى"**، http://akhbar.khayma.com
6. عبد الحميد، شاكر (2001)، **"التفضيل الجمالى، دراسة فى سيكولوجية التذوق الفنى"** – عالم المعرفة، العدد 267
7. عبد الحميد، شاكر (2009)، **"الخيال، من الكهف إلى الواقع الافتراضى"**- عالم المعرفة، العدد 309، ص59.

[8] هو أحد أنواع الخيال الابداعى الثمانية التى قال بها "ريبو" عالم النفس الفرنسى ورائد الدراسات الابداعية فى نهاية القرن التاسع عشر. وقد أشار أيضا إلى الخيال التشكيلى فى الشخصنة(plastic imagination)، وهما النوعان المتعلقان بالابداع فى مجال الفنون أما الأنواع الستة الاخيرة فهم يختصون بإبداعات أخرى وهم: الخيال العددى، والأسطورى (أو الصوفى)، والميكانيكى أو العملى، والتجارى، والاجتماعى والأخلاقى)، شاكر عبد الحميد: "الخيال، من الكهف إلى الواقع الافتراضى"، عالم المعرفة، العدد309، ص59.

8. Alexander, Christopher (2004), **"The Nature of Order, The phenomenon of Life"**

(2nd book:" The process of creating life")
(3rd Book:" A vision of a living world")
(4th book: "The luminous ground"), An essay on the Art of Building and the Nature of the Universe", The center of Environmental Structure, Berkeley, California.

9. Averroes, translated by Ralph Lerner (2005), **"Averroes on Plato's Republic".** Cornell University Press. ISBN 0-8014-8975-X
10. Hall, Edward T. (1966), **"The Hidden Dimension",** Anchor Books. ISBN 0-385-08476-5.
11. Hediger, Heini (1955), **"The Psychology and Behavior of Animals in Zoos and Circuses",** Dover Publications. ISBN 486622185.
12. Lang, Jon (1987), **'Creating Architectural Theory, The Role of the Behavioral Sciences in Environmental Design'**, Van Nostrand Reinhold Company, New York.
13. Leibniz, Gottfried Wilhelm (1714) **"Monadolgy",**

ترجم الكتاب باللغة الانجليزية فى عام 1898 بواسطة Robert Latta
ترجم الكتاب باللغة الانجليزية وقام بالتعليق عليه عام 1999 بواسطة George MacDonald Rodd
ترجم إلى اللاتينية والاسبانية فى عام 1981 بواسطة Gustavo Bueno وكتب مقدمته ،مع صورة من مخطوطة الكتاب الأصلى بخط يد ليبنتس

14. Rasmussen, Steen Eiler (1962), **"Experiencing Architecture",** The M.I.T. Press, Cambridge
15. Searle, John R.**"Mind, a brief Introduction"** Oxford university press, New York, 2004
16.Shermer, Michael. **"Patternicity: Finding Meaningful Patterns in Meaningless Noise"**. Scientificamerican.com.

ملحق رقم 1

نماذج من الأسئلة التى تم اختبارها بمنهج المقابلات غير الممنهجة

1 - هل حدث أن كلمت شيئا من متعلقاتك الشخصية المادية مستشعرا أنه يسمعك؟
2 - هل سبق أن سميت شيئا ماديا إسم إنسان أو شئ حى؟ مثل (عروسة، لعبة، سيارة، شجرة،...)
3 - هل لك من المتعلقات المادية ما تعتبره صديقا لك؟
4 - هل تتذكر مكان ما يشاركك ذكريات معينة تستريح بأن تستعيدها "معه" أو فيه؟

ملحق رقم 2

2 - نموذج من 34 موضوع معمارى وغير معمارى تم طرحه لاستشعار مشاعر الحياة فى الأشياء.

Perception of Life in Urban Components

Between Reality and Metaphor

Aly Mohamed El Husseiny
Associate Prof. Faculty of Engineering
Minia University, Egypt
alhusseiny14@yahoo.com

Abstract

We may think that life is exclusively associated with man or animals due to showing manoeuvre or motion. We may also add plants to living species for their partnership of birth, growth, weakness, and death. Solids, being silent and motionless are supposed to be out of life!!

This paper adopts philosophic contemplations and thinkers efforts towards searching for life reality that enriched the culture of humanity. The paper doesn't merely aim to consciously analyze and understand urban design factors, but also analyze subconscious reactions and feelings towards urban and architecture compositions.

The paper proposes that solid components of things in general and architecture in particular are revived in our perception either for real by faith or metaphorically by subconscious synthesis. Mind has capabilities to personalize things by comparing its form with human features. Once sympathy is produced due to this synthesis interactive feelings towards surroundings becomes easier.

The paper considers projecting life onto urban components as an approach to build on for better studying proximity issues for further purposes like privacy, and territoriality.

Keywords: **Physiognomy; perception; urban life; fields of effects.**